الخاتمـــــة

كان أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة شاعرا كبيرا متميزا ، و" عبقرية فذة تزهى بها جزيرة شُقـر" ويفاخر بها المغرب المشرق فيما أنتج من عبقريات" كما يقول الدكتور سيد غازى ، فهو "شاعر الأندلس في وصف الأزهار والأنهار وما أشبه "كما يقول ابن سعيد ،وهو الجنان الرقيق الحس المرهف الطبع .

ولقد "استقل بطابعه المتميز وأخذ يغترف من ينبوع قلبه وبيئه وزمانه ، فكان له أسلوبه الخفاجى الذى تميز به" كما يقول د . سيد غازى ، هذا الأسلوب الذى امتد تأثيره فى الشعر الأندلس والعربى إلى زمن بعيد ، كما يرى غرسيه غومس .

والنص الأدبى متفرد بذاته ، متميز بميزات وخصائص صاحبه ، فى طرائق الأداء التى تشكـــل أسلوبه .

حاول هذا البحث أن يتعرف على أسلوب ابن خفاجة ، والخصائص التى تميزه ، ومن ثمة الخصائص التى تميز نصه المبدَع ، من خلال مقومات موضوعية كامنة فى لغته ، هى اللغة والموسيقا والصـــورة ، واعتمادا على النهج الأسلوبى (ومناهج أخرى) إلى حد ما .

وبعد مدخل حاول الاقتراب من عملية الإبداع الشعرى ، للتعرف على كيفيتها وعناصرها ، وحاول الاقتراب من شخصية الشاعر ونفسيته ، صوب الباحث مباشرة صوب النص الخفاجى ، محاولا سبـــر أغواره ، وكشف عناصر الإبداع داخله ، وكيفيه تفاعلها المتوازن معا ، كى تنقل التجربة الشعريـــة ، وتضع يدى الباحث مباشرة على السمات الأسلوبية داخل هذا النص .

ويمكن أن يجمل نتائج هذه الدراسة على النحو التالى :

١ ــ إن مقومات النص الشعرى هى لغته وموسيقاه والأخيلة داخله ، وإن عناصر التميز فيـــه (وإن تعددت) إلا أنها تكمن غالبا فى هذه المقومات ، وإن هذا التميز هو محور السمت الأسلوبـى الخاص للشاعر .

٢ ــ إن لغة النص الخفاجى تتطلب قراءة واعية عميقة ، ودربة متذوقة للتعامل معها ، فهى متميـزة بتنوع مصادرها ، وفى طريقة الشاعر فى استخدامها .

٣ ــ إن صيغ المبالغة تمثل محاور مفردة هامة داخل البيت الشعرى ، فى الجانب الصوتى والدلالى ، وعليها يعتمد الشاعر فى صوغ الموقف ، والحال كذلك فى صيغ الصفة المشبهة ، فاستخدامهمـــا يميز أسلوب النص وأسلوب صاحبه . وكذا فى استخدامه للتصغير ولصيغة اسم المرة .

٤ ــ تميز الأسلوب الخفاجى فى الاستخدام اللغوى (على مستوى المفردات) بالاعتماد على صيـغ

الأفعال المضعفة ، وعلى تكرار المادة اللغوية بين الأفعال وبين الأسماء داخل النص ، ليمثل بها قيما جمالية وفنية داخله ، إثراء للتجربة فى محتواها الصوتى والدلالى فى آن واحد .

٥ ـ اعتمد الشاعر على (البناءات الدالة) فى مستوى التركيب والعبارة اللغوية ، مثل البناء المتوازى والبناء الراجع ، والبناء التقابلى ، والبناء المنفرج ، فهى أبنية لغوية تمتد داخل النص ، فى أكثر مواضعه ، تحمل مؤثرات وجدانية وانفعالية خاصة ، وتنجح فى نقلها إلى المتلقى .

٦ ـ الاعتماد على أساليب الاستفهام والقسم والقصر ، بكثرة ، وشحنها بالجوانب الشعورية الخاصة بالمبدع لحظة الإبداع ، حيث تمثل بؤرا شعورية خاصة داخل النص ، تكشفها وتثريها ، بحيث لا يمكن أسلوب آخر أن يحل محلها ، بما يميز أسلوب ابن خفاجة فى هذا الاستخدام .

٧ ـ حرص الشاعر حرصا شديدا على التدفق الثرى فى صياغته ، التزاما بصيغ الأوزان العروضية واستخدام معظمها ، والتزاما بقواعد القافية والحرص عليها كتردد صوتى يثرى موسيقا النص ككل ، واستخداما لمعظم صورها الموسيقية التى وردت فى كتب العروض .

٨ ـ وامتدادا لهذا الحرص الموسيقى المتميز ، كان حرصه الشديد على تنويع أنماط موسيقاه داخل النص ، فهناك موسيقا الأبيات الكاملة ، فيما بينها ، رأسية بين عدة أبيات متتالية ، وهناك موسيقا أفقية داخل البيت الواحد ، يصنعهما تواز صوتى بين المفردات والجمل . وهذه الموسيقا لم تستهدف لذاتها ، بل كانت (فى أغلبها) نابعة من دوافع شعورية ووجدانية داخل النص .

٩ ـ تعدد الظواهر الموسيقية فى مستوى البيت والواحد ، فى تقسيمات خفاجية خاصة الإلحاح ، كالتقسيم الرباعى والتقسيم الثلاثى داخل البيت ، والتقسيم الثنائى للشطر الواحد ، وتكملة الشطر الأول بكلمة فى الشطر الثانى ، وغيرها .

١٠ ـ اهتمام الشاعر بموسيقا الألفاظ ، معتمدا على التكرار الصوتى لها ، فى صور موسيقية كثيرة فصلها الباحث وأحصاها .

١١ ـ الاهتمام بموسيقا الألفاظ من خلال ظاهرتى الجناس ، ورد الأعجاز على الصدور ، البلاغيتين وقد أثبت الباحث توسع الشاعر فى هذا اللون الموسيقى ، معتمدا على انفساح صور التكرار الصوتى فيها ، وأن معظمها كان مطلبا رئيسا للموقف الشعرى الذى يعالجه ، فخرج من وظائف الحلية والزخرف إلى أدوار الارتقاء الشعورى والانفعالى داخل النص ، وخدمة تجربته بإثرائها فنيا فى مستويات متعددة .

١٢ ـ الاهتمام بموسيقا الحروف والحرص المتوازن عليها داخل البيت ، وداخل اللفظة الواحدة ، وبين الكلمات المتتالية ، معتمدا عدة صور لهذه الموسيقا كشفها الباحث وأبرز أثرها داخل النص ، من خلال منهج محدد أشارت إليه الدكتورة فاطمة محجوب .

١٣ ـ اهتم الشاعر بالصورة البيانية ، مرتكزا على تشبيه والاستعارة ، يحشدهما داخل نصه ، بكثرة وهو فى كثير منها مقلد لسابقيه ، معيدا صياغة هذه الصور . إلا أن تميزه الحقيقى فى العنصر التصويرى ، يبدو فى صورة الشعرية الكلية ، التى يرسم بها مشاهد متكاملة للعناصر الصورة . فداخل النص نعثر على صور سريعة خاطفة ، فى عدة أبيات ، وصور أخرى ممتدة ، متعددة الصور ، وصور أخرى (أكثر امتدادا) تحتوى النص ككل .

١٤ ـ أن الصورة الممتدة عنده قد تنمو من داخلها (متوالدة) ، وقد تنمو من خارجها وهذا هو الأغلب ، وأن جميع الصور تشتمل على عناصر محددة تكونها ، لايكاد الشاعر ينسى أهميتها فى إثراء الصورة وإثراء النص ، بمعطيات إيحائية وظلال وأبعاد كثيرة ، وهى عناصر الخيال والحركة والزمن واللون والتشخيص وغيرها .

١٥ ـ أن الصورة الممتدة (الأكثر امتدادا) تشكل نصوصا كثيرة داخل الديوان ، تبرز الصدق الانفعالى والفنى لتجاربها ، لأنها تعكس هذا الكل الشعورى الذى يسيطر على الشاعر لحظة الإبداع والذى يتشكل فى خيال واحد مسيطر عليه طيلة النص ، ينسرب فى كل صورة موحدا إياها ، موجها لها وجهة واحدة يهدف إليها المبدع ، وكأنها عصارة " الكلوروفيل " الخضراء فى الشجرة تسرى فى أجزائها من الجذع وحتى أدق الأوراق فيها ، كما يقول الدكتور محمد زكى العشماوى .

وقد رأى الباحث أن التعامل مع النص الصورة ، أو النص الصور أكثر دقة فى الوصول إلى مشاعر صاحبه ، ومدى صدقه الفنى ، بخلاف التعامل معه كمقاطع أو فقرات ، أو أبيات ، رافضا مقولة أن البيت الشعرى هو وحدة القصيدة ، وقد أبرز هذه السمات المميزة لعناصر إبداع ابن خفاجة من خلال تعامل تطبيقى تحليلى مباشر على نصوص كثيرة داخل البحث ، واضطر أحيانا إلى اقتناص الشاهد من جسد الكل (النص) ليبرز أو يحلل ، ولكنه فى تطبيقه وتحليله انطلق من رؤية شاملة للنص وتجربته .

كما اعتمد على ذوقه الخاص ومدى تفهمه لفحوى ظلال النص (فى كثير من الأحيان) ، إلى جانب المناهج الرئيسية التى حاول استخدامها ، كالمنهج الأسلوبى ، والمنهج الإحصائى ، والمنهج التحليلى ، والمنهج النفسى وغيرها ، فى شكل متكامل يعين على سبر أغوار لغة النص .

وبذا وضع البحث يده على مقومات الإبداع فى النص الخفاجى ، وكيفية تعامل الشاعر معها ، وكيف صنع هذا التوازن المتناسب بينها خدمة لتجاربه ، بما يمثل السمات الرئيسية فى الأسلوب الخفاجى من جهة ، ومقدرته المتمكنة من عناصر إبداعه من جهة أخرى ، وهما غايتا البحث الكبريين .

والله من وراء القصد ، وهو يهدى السبيل ، ، ، ،

الباحث